وَاجِبُ طُلَّابِ العِلْمِ فِي النَّوَازِلِ وَالحَوَادِثِ المُدْلَهِمَّةِ

للشيخ

صالح بن عبد الله بن حمد العُصيميّ

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

تفريغ

طه بن نضال بن محمد خير آل عزّ الدّين الحمصيّ

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

كلمة ألقاها فضيلة الشيخ / صالح العصيمي -وفَّقه الله-

ضمن مناشط برنامج « **الحصن الأمين** » في سَنته الأولىٰ ١٤٣٧ هـ

في مدينة الرياض - جامع مصعب بن عمير رضي الله عنه

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين وصلَّىٰ الله وسلَّم علىٰ عبده ورسوله محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد:

أيُّها المؤمنون إنَّ مِن الحوادث الواقعةِ: **الفتنُ المتتابعة** الَّتي تُمسِي في بلد مِن بلدان المسلمين وتُصبِح في بلد آخر مِن بلدانهم، وإنَّ ذِمم الخَلق مشغولةٌ فيها بأنواعٍ مِن الأحكام، وإنَّ مِن جملة هؤلاء **طُلَّابُ العِلْمِ**؛ فتتعلَّق بذممهم أحكامٌ تَرجِع إلىٰ جُملة مِن الأصول ينبغي أنْ يرعَوْها في أنفسهم، وأنْ يُقيموها في جميع أحوالهم؛ ليطلبوا النَّجاة لأنفسهم والفَكاك مِن سؤال اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لهم فيما يقولون أو يفعلون أو يأتون أو يذرون ممَّا يتعلَّق بهذه الحوادث

فمِن جملة تلك الأصول الَّتي يُشارِكهم فيها غيرُهم **رَدُّ الأَمْرِ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَالاِسْتِغْنَاءُ بِهِمْ عَنْ غَيْرِهِمْ**؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٌ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء: ٨٣].

فالعبدُ مأمورٌ بأنْ يرُدَّ هذه الحوادث إلىٰ أولي الأمر فيها؛ وأولوا الأمر فيها هم القادرون علىٰ تدبير شأنها مِن الحُكَّامِ الَّذين بأيديهم تدبير السَّلطنة والحُكم، والعلماءِ الَّذين بأيديهم تدبير الفُتيا والعِلم.

والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قال: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣]، وأهلُ الذِكر وإنْ كان المراد بهم في هذه الآية: العلماءُ الَّذين يُسأَلون فيما يحتاج العبد إلىٰ

معرفته مِن أحكام الشَّرع، إلَّا أنَّ علَّة الحُكم واحدةٌ مع غيرهم؛ فإنَّ المرء في أمر دِينه أو دُنياه إنَّما يتوجَّه بالسُّؤال إلىٰ مَن له معرفةٌ به وإحاطةٌ بعلمه، فإن لم تكن له قدرة عليه فإنَّه لا يكون ممدوحًا في نقلٍ ولا عقلٍ أنْ يتوجَّه إلىٰ مَن ليست له قدرةٌ ولا معرفةٌ ولا قَبيلٌ ولا دبيرٌ بهذا الشَّأن.

ومِن تمام ردِّ الأمر إلىٰ أهله: الاستغناءُ بهم عن غيرهم فلا يُحتاجُ معهم إلىٰ غيرهم؛ فإذا ردَّك الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى إلىٰ هؤلاء فلا ينبغي أن تطلُب غيرهم.

ويتأكَّد هذا في حقِّ مَن لا يطلُب العلم مِن آحاد النَّاس؛ فإنَّ غُنيَتَهُم في مِثل هذه الأمور هي بردِّهم إلىٰ أولئك الَّذين بيدهم الأمر، دون دخول في شيءٍ مِن فروع التَّفاصيل الَّتي قد تأتي علىٰ دِينهم وتُفسِد دُنياهم.

ومِن جملة تلك الأصول **إشْتِغَالُ طَالِبِ العِلْمِ بِوَظِيفَتِهِ المُرَادَةِ مِنْهُ**؛ فإنَّ مِن فلاح العبد أنْ يُفقِّهه الله عَزَّوَجَلَّ في وظائف عُمُرِه، فإنَّ العبد في عمره عليه وظائف، فكلُّ عمر له وظيفة، وكلُّ حالٍ لها وظيفة؛ فأنت حين كنت ابنَ سبعِ سنين لك وظيفة شرعيَّة، وعندما بلغتَ لك وظيفة شرعية، وعندما ترعرعتَ وارتفعت في سنِّ الفُتوَّة والشَّباب صارت لك وظيفة شرعية.

وتلك الوظيفة الشَّرعيَّة تارةً يرجع تقديرها إلىٰ عُمُر، وتارةً إلىٰ يرجع تقديرها إلىٰ حالٍ، ووظيفة طالب العلم هو إقباله علىٰ طلب العلم؛ فإنَّ الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى أخبرنا في آيات كثيرة أنَّ وظائف الأمَّة في تحقيق مصالحها العاجلة والآجلة مقسومة بين أهلها، قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ [التوبة: ١٢٢]، وقال تعالىٰ في الآية المُتقدِّمة: ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ ﴾ [النساء: ٨٣]. فوظائف تحقيق مصالح الأمَّة مقسومةٌ بين أهلها، وطلَّاب العلم لهم وظيفة ينبغي أنْ يُقبِلوا عليها وأنْ يشتغلوا بها، وهي طلب العلم، حتَّىٰ إذا اِحتيج إليهم وقد أَوْعبُوا مِن زادِهم وعلَت مرابحهم وعظُمت غنائمهم = كان لهم مِن القوَّة والقدرة علىٰ نفع النَّاس ما لم يكن لهم مِن قبل؛ فينبغي أنْ يشتغل طالب العلم بوظيفته -وهي طلب العلم وتحصيله-، وذلك لا يُمكِن بشَغل نفسِه مع شيءٍ ليس مِن وظيفتها؛ فإنَّ هذا يُضعف سَيْره ويقطعها عن بلوغ مراده منه.

ومِن جملة تلك الأصول **الرِّفْقُ وَالتَّأَنِّي**؛ فإنَّ الشَّرع جاء بمدح الرِّفق وحمْدِه في كلِّ شيء، وفي الصَّحيحين مِن حديث ابن شهاب عن عروة عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ »، فينبغي أنْ يأخذ الأمورَ موارِدَ الفتن برفقٍ وتأنٍّ فإنَّه أدعىٰ للتَّوفيق؛ فإنَّ الرَّفيق قريبٌ مِن الرَّحمن، وإنَّ المُتعجِّل قريبٌ مِن الشَّيطان؛ فعند التِّرمذيِّ مِن حديث عبد المهيمن بن عبَّاس عن سهل بن سعد عن أبيه عن جدِّه سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « الأَنَاةُ مِنَ اللهِ، وَالعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ » فالمرء إذا كان مُتأنِّيًا رفيقًا مُسترشِدًا في فهمه وسَيره وحاله وقاله وفعاله فإنَّه يَقرُب مِن توفيق الله عَزَّ وَجَلَّ، وإذا كان مُتعجِّلًا طائشًا يقرُب مِن الشَّيطان، فربَّما أزلَّه الشَّيطان فأوقعه في مورد مِن موارد الهلاك والعَطَب؛ فينبغي أنْ

يتأنَّىٰ طالب العلم في موارد الفتن ويرفُق بنَفْسه ويرفُق بالمسلمين.

ومِن جملة تلك الأصول أيضًا **التَّثَبُّتُ وَعَدَمُ التَّسَارُعِ إِلَىٰ نَقْلِ الشَّائِعَاتِ وَالأَرَاجِيفِ**؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات: ٦]، وإذا كانت هذه الآية في الفاسق؛ فكيف بحال مَن لا تُعلَم حالُه ولا عَينُه ممَّن يتسارع ويَتقاطر بعض المُنتَسِبين إلىٰ العلم بنقل كلام عنه وهو مجهولٌ لا يُعرَف، وإنَّما غاية أمْرِه أنْ يجِد مُعرِّفًا في هذه الأجهزة الَّتي شُهِرَت بين النَّاس في وسائل التَّواصل الاجتماعيِّ، ثمَّ يتلقَّف ما يقول دون تمييز صوابِ هذا القول مِن خطئه، وصدقه من كذبه، وصحَّته من بطلانه !

والَّذي أوقعه في ذلك: عدمُ اعتداده بالقاعدة الشَّرعيَّة بالتَّثبُّتِ في الأخبار وعدمِ نقل الشَّائعات، والعبدُ منهيٌّ أشدَّ النَّهي عن أنْ يصدُر منه نسبةُ قولٍ إلىٰ أحدٍ وهو منه بريءٌ؛ فعند أحمد أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: « مَنْ قَالَ فِي مُؤْمِنٍ مَا لَيْسَ فِيهِ؛ سَقَاهُ اللهُ مِنْ رَدْغَةَ الخَبَالِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ » و رَدْغَةَ الخَبَالِ: يعني طِينة الخبال، وهي عُصارةُ أهل النَّار؛ فإذا تكلَّم الإنسان فقال: إنَّ فلانًا يقول، وإنَّ فلانًا يقول، وإنَّ فلانًا يقول، وهؤلاء لم يقولوا هذا ويكون في هذا القول جَوْرٌ وتعدٍّ ونسبةُ كذبٍ إليهم وإغارٌ للصُّدور وإفسادٌ للقلوب = فإنَّه مُتَوعَّدٌ بهذا الوعيد الشَّديد؛ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ يجعل مِن عذابه أنْ يسقيَه مِن عُصارة أهل النَّار، لأنَّ مَن نشر النَّتن كان مِن جزائه أنْ يتجرَّع النَّتن، فالَّذي يُفشِي في المسلمين مقالة السُّوء ويقوِّيها فيهم يُعاقبه الله عَزَّوَجَلَّ بهذا العقاب الأليم. فينبغي أنْ يحذر طالب العلم خاصَّة والنَّاس

عامَّة مِن نقل الأراجيف والشَّائعات والأقاويل الَّتي تُوهِن القلوب وتُضعِف الإيمان وتجعل العبد ينظر إلىٰ نفسِه وإلىٰ الخلق بعين الإزراء والعيب وربَّما أضعف ذلك دِينه ودين النَّاس.

ومِن جملة تلك الأصول أيضًا **تَقْوِيَةُ النَّفْسِ بِالإيمَانِ وَالاِعْتِزَازِ بِهِ وَتَقْوِيَةِ مَنْ يَلُونَهُمْ وَيَتَوَلَّوْنَهُمْ** من إخوانهم وأصحابهم وأبنائهم وأهل بيوتهم وسائر المسلمين؛ بأنْ يعلموا بأنَّ الدِّينَ دينُ الله، والأمرَ أمرُ الله، والحُكمَ حكمُ الله، وأنَّ الله تكفَّل بحفظ دينه؛ قال تعالىٰ: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَجَعَلَهَا ﴾ يعني كلمة التَّوحيد ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٨].

وفي الصَّحيحين مِن حديث معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَىٰ الحَقِّ مَنْصُورِينَ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ نَاوَأَهُمْ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ » فالعبد يجب أنْ يكون مُصدِّقًا بِوعد الله مؤمنًا به مُقبِلًا عليه، وأنْ يثبِّت قلوب المؤمنين بذلك، وأنْ يصبِّرهم علىٰ ما يلقىٰ الإنسان من عَنَت أو تغيُّر في هذه الأحوال أو وجودِ فتنٍ متجدِّدة عليهم؛ فإنَّها لا تكون نهاية التَّاريخ! بل ينبغي أنْ تكون حاملةً للعبد مِن الازدياد مِن نشر الخير، وإقامة الحُجَّة، ونُصح النَّاس وهدايتهم، وبذل ما يستطيع في ذلك فإنَّه أعظمُ لِأَجْرِه؛ فإنَّه إذا قلَّ القائمون بالحقِّ كان العاملُ منهم بنفْس الحقِّ له أجورُ جماعةٍ مِن الخَلق، ولذلك ضُعِّف أجرُ مَن يعمل الصَّالحاتِ في آخر الزَّمان حتَّىٰ يكون العامل منهم له أجر خمسين مِن

الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وإذا كان هذا في سائر الأعمال فإنَّه في الجهاد في حفظ الدِّين وصيانته أكثرُ وأكثرُ.

وفي صحيح مسلم مِن حديث محمَّد بن يحيىٰ بن حبَّان عن الأعرج عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنَّ النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: « المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ »؛ فمِن قوَّة الإيمان امتلاءُ القلب ثقةً بوعد الله، ونصر الله، وتأييد الله؛ أنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ينصُر مَن ينصُره. قال تعالىٰ: ﴿ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ﴾ [الحج: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٧]، فينبغي أنْ يعلم المرء أنَّ الحقَّ منصورٌ وأنَّ دِين الله محفوظ، ولكنَّ الخوف عليك أنتَ أنْ يُسلَب هذا العلم والدِّين والإيمان منك؛ فينبغي أنْ تجتهد في حفظه بنفسك وفي حفظه في بلادك بأنْ تنشُر العِلم وتبثَّه، وتنصح النَّاس، وتهديهم، وتُرشِدهم، وتصبر علىٰ ذلك حتَّىٰ تلقىٰ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذه جُملةٌ مِن الأصول الشَّرعيَّة والمقامات المرعيَّة الَّتي دلَّت عليها الأدلَّة النَّقليَّة مِن القرآن أو السُّنَّة النَّبويَّة، والَّتي ينبغي أنْ تمتلئ بها قلوب طلَّاب العلم، وأنْ يسيروا بها، ويستضيؤوا بنورها، ويهتدوا بمشكاتها، وأنْ يُعرِضوا عن كلِّ مَن كان خارجًا عن هذه الحقائق فلا يملؤوا قلوبهم وصدورهم بما ليس مِن كلام الله ولا مِن كلام الرَّسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسأل الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ أنْ يوفِّقنا جميعًا لِما يُحِبُّ ويرضىٰ، وأنْ يلهمنا رُشْدنا، وأنْ يقينا شرَّ أنفسنا، وأنْ يريَنا الحقَّ حقًّا وأن يرزقنا اتِّباعه، وأنْ يرينا الباطل باطلًا وأنْ يرزقنا اجتنابه، وأنْ يجعلنا مِن أنصار دِينه وأوليائه وحزبه المفلحين، وأنْ يتولَّانا في الصَّالحين، وأن يحفظنا بالإسلام قائمين ويحفظنا بالإسلام قاعدين ويحفظنا بالإسلام نائمين، وأنْ يُحيِيَنا حياةً سعيدة وأنْ يتوفَّانا وفاةً حميدة، وأنْ يحفظ علىٰ هذه البلاد خاصَّة وعلىٰ سائر بلاد المسلمين إيمانها وأمنها، وأنْ يجعل وِلَايَتَهَا فيمن يخاف الله ويتَّقِيه.

والحمد لله ربِّ العالمين